



هل الدين ضرورة ؟

(006) سورة الأنعام

خطبة جمعة

2026-01-23

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

يا ربنا لك الحمد، ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك، وكيف نضل في هدايتك، وكيف نذل في عزك، وكيف نضام في سلطانك، وكيف نخشى غيرك، والأمر كله إليك، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما جزي نبياً عن أمته. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد، وسلم تسليمًا كثيراً.

مقدمة:

وبعد أيها الإخوة الكرام: كان سيدنا بلال رضي الله عنه يُعذَّب في صحراء مكة، وتوضع فوقه الصخور الكبيرة في حرِّ الهاجرة، ليكفُر برسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنه كان يقول: "أحد أحد".

كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه برّاً بأخيه مُجَبّاً لها، فلما أسلم سعد امتنعت أُمُّه عن الطعام والشراب حتى يرجع عن دينه، فأبى وثبت على إسلامه ثم قال لها: "يا أُمّاه تعلمين والله لو كانت لك منِّي نفسي فخرجت نفسها نفساً ما تركت ديني هذا لشئٍ، فإن شئت فكلّي وإن شئت فلا تأكلّي" ثم أكلت. سُجِن الإمام أحمد رضي الله عنه وأوذِي في الله، ثم أدخلوا إليه عمّه ليُقيّعه باعتناق رأي الخُكَّام في أمر لا يُرضي الله تعالى، ولو تقيّةً تظاهراً، أن يتظاهر بأنه موافق فقط، فقال يا عمّ: "إذا أجاب العالمُ تقيّةً خوفاً من الناس، والجاهلُ بجهلٍ، فمتى يتبين الدين والحق؟".

كيف تصنعون بحديث خباب بن الأرت:

{ شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلَا تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: فَذَكَرَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُخَفَّرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمُنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ يَضْحَكُ، وَيُمَسِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَضُدُّ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّائِكُ مِنْ صُنْعَاءَ إِلَى خَضْرَمَوْتَ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذَّنْبَ عَلَى عَتَمِهِ، وَلِكَيْتُمْ تَسْعَجِلُونَ. }

ألقى فرعون أولاد ماشطة ابنته، في قدرٍ فيه زيت مغلي، واحداً تلو الآخر، وهو يسألها مَنْ رَبُّكَ؟ فتقول له: "رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ".

لماذا ثبت الملايين من البشر على دينهم؟

أندرون لماذا ثبت هؤلاء وغيرهم كثير؟ لماذا ثبت الملايين من البشر على دينهم؟ مُد خلق الله آدم إلى يوم القيامة، رغم كل ما يتعرّض له الثابتون على الحق إلى يومنا هذا، من محنٍ، واعتقالي، وتخويفٍ، وتجويعٍ، وتعذيبٍ، ويبقى ثابتاً، لعلّي أعطيكُم في هذه الخطبة سبباً من أسباب ثباتهم، وصمودهم الذي يُحَيّر العقول. أيّها الإخوة الكرام: في حياة كُلِّ مَنَّا، ضروريات، وحاجّيات، وتحسينيّات أو كماليات، جمعها أُلُح كُرم حتى تُحفظ فقال: "صَحَّحَك" الصاد ضروريات، والحاء حاجات، والكاف كماليات.

في حياة كُلِّ مَنَّا ضروريات وحاجّيات وتحسينيّات:

في حياة كُلِّ مَنَّا شيءٌ ضروري، شيءٌ حاجي، شيءٌ كمالي، دون الضروريات يهلك الإنسان، انترك إنساناً بلا ماءٍ، بلا طعامٍ، بلا شرابٍ، أياماً يهلك، دون الضروريات يهلك الإنسان، دون الحاجّيات لا يهلك لكن تُصيح حياته شاقّةً، أمّا الكماليات فإنها تُحسّن الحياة، لكن يمكن للإنسان أن يستغني عنها. الماء ضرورة، الطعام ضرورة، لذلك أجاز الشرع لمن لا يجد ما يأكله، أن يأكل شيئاً يسيراً من لحم الخنزير إن لم يجد غيره، لأنّ الطعام ضرورة. الثلاجة في البيت حاجة، دونها هناك مشقّةٌ شديدةٌ أو قليلة، لكن يعيش الإنسان دون ثلاجة، يأكل ويشرب، يشتري طعاماً طازجاً ويأكله دون أن يضعه في الثلاجة، لكنها أصبحت اليوم حاجةً من الحاجّيات في البيت. اللوحة التي تُعلّق على الجدار، أو الشاشة التي توضع في صدر البيت، هي من الكماليات. بالمناسبة هناك إشكالٌ عند البعض بحيث يقول لك: أنا فقيرٌ، فإذا تتبعت فقره وجدت أنه لا يجد الكماليات، فيعدّ نفسه فقيراً.

الفقير هو الذي لا يجد الضرورات وليس الحاجّيات:

الفقير هو الذي لا يجد الضرورات، أو بعض الحاجّيات المهمّة، لكن لا يُعقل أن تقول أنا فقير، لماذا؟ لأنّ هاتفي نوعٌ قديم، صدرت هوائتُ كثيرةٌ بعده ولم أستطع أن أشتريها، الهاتف الحديث كماليات، يمكن أن تعيش دونه، فكثيرون من الناس ينظرون إلى فقرهم، لأنهم لا يملكون الكماليات وليس الحاجّيات أو الضرورات. مقاصد الشريعة جاءت أيضاً متنوّعةً على هذه الثلاثة، فهناك مقاصدٌ في الشريعة ضرورية، وهناك مقاصدٌ حاجيّةٌ وهناك مقاصدٌ تحسينية.

المقاصد الضرورية في الشريعة الإسلامية خمسة:

المقاصد الضرورية في الشريعة الإسلامية خمسة:

أولاً: حفظ الدين، وهُنا دخلنا في الموضوع، أول ما جاءت الشريعة به أن تحفظ دين الناس، لأنّه سعادة الأبد أو شقاء الأبد، لأنه ليست أياماً تمضي، وإنما أبداً مُستمرٌّ لا ينقضي، فكل ما جاء من أوامرٍ في الشريعة، جاء لحفظ دين الناس.

الضرورة الثانية: هي حفظ النفس، لذلك شرع القصاص.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179)

(سورة البقرة)

الضرورة الثالثة: ثم جاءت الشريعة لحفظ العقل، فحرّم الله الخمر لحفظ عقل الإنسان، ليبقى متوازناً، يفقهه، يفهم، يعقل.

والضرورة الرابعة: هي حفظ العِرْض، لذلك حرّم الله الزنا، وحرّم قذف المُحصنات، وحرّم النظر المُحرّم ليحفظ أعراض الناس.

والضرورة الخامسة: حفظ المال، لذلك حرّم الإسلام السرقة، والغش، والاحتكار، وأكل أموال الناس بالباطل، هذه الخمسة هي الضروريات في الشريعة، أن يُحفظ دين الناس، وأن تُحفظ أنفسهم، وأن تُحفظ عقولهم وأعراضهم وأموالهم، هذه هي الضروريات.

هل الدين ضرورة؟

هل الدين ضرورة؟ سؤال؟ هل يمكن أن يحيا الناس دون دين؟

الدين ضرورة، وحفظه ضرورة، هو ليس زينةً تنزّين بها، هو هواءٌ نستنشق، فإن توقفنا عنه أصبحنا أمواتاً غير أحياء، كما قال تعالى في كتابه الكريم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21)

(سورة النحل)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۚ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ ۚ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسْتَنْدَةٌ ۖ يَخْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتِلْهُمْ
اللَّهُ ۚ أَلَمْ يُؤَفِّكَوْنَ (4)

(سورة المنافقون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۚ بَلْ هُمْ أَصْلٌ سَبِيلًا (44)

(سورة الفرقان)

الدين ضرورة لتستقيم حياة الناس ولتستقيم آخرتهم:

المرء من غير دين لا قيمة له عند الله، الدين ضرورة لتستقيم حياة الناس، ولتستقيم آخرتهم، هو ضرورة في الدنيا وضروره في الآخرة، لا يمكن أن تصلح حياة الناس بشكل حقيقي متكامل دون دين.

أحد الكُتّاب المعروفين من أصول صينية لكنه أمريكي، عاش ومات في أمريكا، ودّرس ودّرس في أهم جامعاتها، توفي قبل ثلاثين سنة تقريباً، هذا الرجل له كتاب، طبعاً هو ليس مسلماً، لكنه اقترب بفكره وكتاباته من الدين الحق بشكل عام.

كتابه عنوانه: "لماذا الدين ضرورة حتمية"، مما يقول فيه قال: لا يمكن للوجود الديني بسبب محدوديته وتناهيه، الدنيا والوجود الديني يتناهي، يبدأ الإنسان صغيراً، يشب، يبدأ العداد بالتنازل إلى الموت، كل شيء، الشجرة تورق ثم تصفر ثم تذبل.

قال: لا يمكن للوجود الديني بسبب محدوديته وتناهيه، أن يُشبع قلب الإنسان بشكل كامل، هناك في فطرة الإنسان تطلّع وتوقّع نحو الأكثر، يتطلّع إلى شيء آخر غير الدنيا، قال: هذا التطلع يوحى بقوة بوجود شيء تحاول الحياة أن تصل إليه، تماماً مثلما تُشير أجنحة العصفير إلى وجود الهواء، أنت لا ترى الهواء، ولكن جناح العصفور يقولون لك هناك هواء كيف سيطير، وكذلك كما تتجني أزهار دوار الشمس نحو الصبّاء، تتجه إلى شيء آخر.

ثم يقول: إنّ الحقيقة التي تُهيج شوق الإنسان إليها، وتُشبع روحه وتملؤها هي الله، هناك شيء يتعلّق به الإنسان لا يدري لماذا؟ الآن قد يصل وقد لا يصل، نحن ولله الحمد وصلنا، غيرنا من المشركين وصل البعض إلى الأصنام، فملأوا فراعهم الروحي باللات والعزّة.

بعض الشعوب اليوم تملأ فراغها وحاجتها إلى الدين بمخلوقٍ مثلاً:

اليوم شعوب في الأرض، تملأ فراغها وحاجتها الملحة إلى الدين، بمخلوقٍ مثلاً فيعبدون البقر، لكن يتوجه إلى شيء لأنه يشعر بنقص في داخله، يحتاج إلى دين، لأنّ الدين ضرورة، الحياة المادية لا تكفي، لأنّ هناك نهاية وهناك موت، والإنسان يتطلع إلى ما بعد الموت، فالمسلم وقيله من كان على شريعة سيدنا عيسى، وقيله من كان على شرائع الأنبياء السابقين، وصلوا إلى الله الواحد الأحد، الفرد الصمد، وعبدوه حقّ عبادته، فملأ فراغه الروحي واستعدّ للقاء ربه.

أُثِّمُ الإخوة الكرام: لو قال قائل: إنّ حياة الناس تستقيم دون الدين، تستقيم بالقوانين، بعض البرامج الدينية التي كانت تُعرض على الشاشات، كانت توصّل رسالة سلبية من حيث لم يُرد من أنشأها.

الرسالة السلبية تقول: إنظر إلى الغرب يعيش من غير دين، لكنه يعيش، انظر إلى تفرقنا وتشردنا ثم انظر إلى وحدتهم، انظر إلى الأوساخ في طرقاتنا ثم انظر إلى نظافة طرقاتهم، وهذا حقّ، انظر إلى قوانين السير في بلادنا وإلى قوانين السير في بلادهم، نرجو أن يأتي اليوم الذي تكون فيه شوارعنا نظيفة، بدافع من ديننا أكثر من القوانين، وأن نصل إلى اليوم الذي تنقيد فيه بقوانين السير، بدافع من ديننا قبل القوانين.

مشكلة بعض البرامج الدينية أنها عرّضت الظاهر فقط:

لكن هذه البرامج أوصّلت رسائل سلبية بالعقل الباطن للناس، بأنه يمكن أن نجا من غير دين، الحياة تستمر وتستقيم، الآخرة شيء آخر يا أخي، لكن الحياة تستقيم من غير دين، ما مشكلة هذه البرامج؟ أنها عرّضت الظاهر فقط، والناس الذين لا يعيشون هناك لا يعرفون المشكلة في حقيقتها، لا يعلمون مشكلة المواطن الذي يعيش في الغرب، ولا يعلمون ارتهانه للقروض الربويّة، ولا يعلمون شيوخ المُخدّرات، ولا انتشار الجريمة، ولا عقوق الأبناء، ولا أشياء كثيرة من الطهارة والنظافة الداخلية وغير ذلك إلى آخره.. لا يعلمون إلا الظاهر، فبطئ الناس بأنّ الإنسان يمكن أن يعيش من غير دين.

الحقيقة أنّ الدين ضرورة، ولا يمكن للإنسان أن يعيش بغير دين، والقانون يمكن أن يخلّ محل الدين في ضبط حركة الناس، لكن بشكل جزئي جداً.

العقيدة تضبط حركة الناس بخالقهم:

أُثِّمُ الإخوة الكرام: الدين عقيدة وشريعة، أو قُل إيمان وسلوك، أو قُل مُنطلقاً نظرية وتطبيقات عملية، من أجل ذلك العقيدة تضبط حركة الناس بخالقهم، وهل هناك في القوانين ما يضبط حركة الإنسان بخالقه؟ أحبّ الله، أخاف الله، أرجو رحمته، أفعل ذلك من أجله، لا يوجد في القوانين من يصنع ذلك.

كيف تضبط حركة الناس بالخالق من خلال القانون؟ مستحيل، الشريعة تضبط حركة الإنسان مع نفسه، وحركة الإنسان مع الآخرين، هل يمكن للقوانين أن تضبط حركة الإنسان مع نفسه؟ أن يُحاسب نفسه قبل أن ينام، يصدر مرسوم تشريعي، على جميع المواطنين مُحاسبة أنفسهم قبل النوم! لا يمكن، ومُجاهدة نفسيهم لحملها على الطاعات، لا يمكن، تبقى القوانين في الجزء الثالث وبشكل جزئي، بحيث تحاول قدر الإمكان أن تضبط علاقة الناس فيما بينهم، وهذا شيء جيد.

ويجب أن يكون هناك قوانين صارمة في كل الدول، لأنَّ "الله يَرع بالسلطان ما لا يَرع بالقرآن" كما قال سيدنا عثمان بن عفان، لكن تبقى القوانين عاجزة عن أن تُخلِّ مكان الدين، لأنها لا تستطيع أن تضبط لا علاقة الإنسان بخالقه، ولا علاقته بذاته، ولا علاقة كاملة بالناس من حوله، يُرُ الوالدين في الدين، في القانون لا يستطيع أن يُلزمه أن يبرِّ والديه، بأن يصل أرحامه، لا يُريد أن يصل أرحامه من ذا الذي يُلزمه؟ الشريعة فقط هي التي تُلزم الناس.

الدين عقيدةٌ وشرعةٌ والإسلام يربط بينهما:

لذلك أُنْها الإخوة الكرام: لَمَّا قُلْنَا الدين عقيدةٌ وشرعةٌ، الإسلام يربط بينهما، انظروا إلى قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1)

(سورة الماعون)

هذه عقيدة، يُكذِّب بالدين، لا يريد الدين، قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (2)

(سورة الماعون)

هو نفسه يُكذِّب بالدين، إذاً ليس هناك يوم آخر، وليس هناك حساب، فيُسيء إلى مخلوقٍ ضعيفٍ يتيمٍ أمره الله بالإحسان إليه (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (2)).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)

(سورة الأنبياء)

(لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) عقيدة، (فَاعْبُدُونِ) شريعة.

{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَبَقَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَبَقَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَبَقَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَبَقَهُ }

الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَبَقَهُ {

(صحيح البخاري)

(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) عقيدة، (فَلْيُكْرِمْ صَبَقَهُ) شريعة.
(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) عقيدة، (فَلَا يُؤْذِ جَارُهُ) سلوك.
(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) إيمان، (فَلْيُكْرِمْ صَبَقَهُ) سلوكٍ عملي.

كل عقيدة سليمة ينتج عنها سلوك سليم وكل عقيدة فاسدة ينتج عنها سلوك فاسد:

يربط الإسلام بين العقيدة والشرعية، فكل عقيدة سليمة ينتج عنها سلوك سليم، وكل عقيدة فاسدة ينتج عنها سلوك فاسد. لو اعتقد الإنسان أنَّ الله أجبره على المعصية، سيبقى على المعصية، لأنَّ الله أجبرني لا يمكن أن أفعل شيئاً، اعتقاد خاطئ. لو اعتقد إنسان أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم، سيشقّق لأمنه والشفاعة حقّ، سيشقّق لأمنه بغير قيد أو شرط، سيدخل الجنّة كل من يملك هوية مكتوب عليها في الخانة مُسلم، النبي صلى الله عليه وسلم يشقّق له، لو اعتقد ذلك لن يعمل.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80)

(سورة البقرة)

ثم بعد ذلك إلى الجنّة وانتهى الأمر، النبي صلى الله عليه وسلم سيأخذنا جميعنا إلى الجنّة، وماذا نفعل بحديثه صلى الله عليه وسلم يقول:

{ إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَذَرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: سَخَقًا سَخَقًا لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي }

(صحيح مسلم)

عَيَّرُوا وبَدَّلُوا، اعتقاد خاطئ، الشفاعة حقّ، لكنه فهمها خطأ، فنتج عنها سلوك خاطئ.

الحُكَّام في الغرب يعتقدون أنه لا إله، فيبيدون الشعوب كاملة، يقصفون شعوباً بأكملها، يتركون غزّة تموت وحدها ولا يفعلون شيئاً وهم قادرون، عقيدة فاسدة، لا يعتقدون بوجود إله سوف يُحاسِبهم، وإلا لنهضوا وساعدوا غزّة وغيرها من بلاد المسلمين، فالعقيدة مربوطة بالسلوك.

القانون دائماً يعتمد الرادع الخارجي بينما شرع الله يعتمد الوازع الداخلي:

الأمر الآخر أيُّها الكرام في القانون، أنَّ القانون دائماً يعتمد الرادع الخارجي، بينما شرع الله يعتمد الوازع الداخلي، فأنا أنطلق من واجباتي لأنَّ الله أمرني، هناك شيء في داخلي يدفعني لفعل الخيرات وترك المنكرات، وليس كاميرا تُصوّرني فأقف عند إشارة المرور، أفعل ذلك بوازع داخلي، وشئان بين أن تنطلق من رادع خارجي أو من وازع داخلي.

آخر زعماء الاتحاد السوفيتي، في منتصف ثمانينيات القرن الماضي، بعد أن صار هناك انتشار غير مسبوق للخمر في الاتحاد السوفيتي، وأدى إلى أعداد وفيات بالمالين، ونفقات بحيث أصبحت تستغرق عُشر الناتج المحلي، فرض قانوناً يمنع فيه الخمر في البلاد، مُبْطِل الحدود، أتلفت الخمر الموجودة، جُنِّد أسطول من الجنود لمراقبة البيوت ومراقبة الجانات، ومراقبة كل شيء، إلى آخر ما هنالك، أدّت هذه الإجراءات الصارمة، والتي أنفق عليها الملايين لضبط الحدود ومنع التهريب، إلى تقليل عدد الوفيات إلى الرُبع، استفادوا، قلّ عدد الوفيات الناتجة عن شرب الخمر.

المُفاجأة كانت بعودة الوضع على ما كان عليه بل أسوأ، بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، حيث زاد عدد الوفيات بنسبة وصلت إلى أربعين بالمئة، في الأعوام الأربعة التي أعقبت انهيار الاتحاد السوفيتي، وما تزال إلى اليوم، أمّا الإسلام فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (90) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَتَصَدَّكُم مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (91)

(سورة المائدة)

قالوا: قد انتهينا، وأفرغ كل الناس ما في آنيبتهم من الخمر، وما تزال بلاد المسلمين بعد أكثر من ألفي وأربعمئة سنة، هي الأقل انتشاراً في الخمر بدافع إيماني داخلي، رغم أنَّ القوانين لا تمنع، بل الإعلانات والدراما تُشجّع، وزُعم أنَّ الحدود لا تُقام على شارب الخمر، لكن ما تزال بلاد المسلمين حتى اليوم بالوازع الداخلي، أقلّ نسبةً بكثير من بلاد الغرب في شرب الخمر، بدافع خوفي من الله وإيماناً بالله، فهذا هو الدين أيُّها الكرام.

الدين تهون أمامه المُهْج والأرواح إنه سعادة الأبد أو شقاء الأبد:

عرفتم الآن لماذا ثبت بلال على دينه؟ لماذا صمد سعد بن أبي وقاص رغم كل محبته لأمه، لماذا وقفت ماشطة موقفاً لا يفقه الرجال، وهي ترى أبناءها في النار؟ لماذا صمد يوسف في السجن ولم يُبدّل ولم يُغيّر؟ لماذا أودى موسى فلم يُغيّر ولم يُبدّل؟ لماذا أودى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطائف، وخُبس في الشعب ثلاث سنواتٍ يأكلون أوراق الشجر، وما تنازلوا عن دينهم قيد أنملة؟ لأنهم كانوا يعتقدون أنَّ الدين ضرورة، لأنَّ الدين لا يمكن الاستغناء عنه، تهون أمامه المُهْج والأرواح، إنه سعادة الأبد أو شقاء الأبد، لا تستقيم حياة الناس بغير دين، ولا تستقيم آخرتهم بغير دين.

أَيُّهَا الإخوة الكرام: حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسِبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن تُوزنَ عليكم، واعلموا أنَّ مَلَكَ الموت قد تَخَطَّأَ إلى غيرنا وسيَتَخَطَّى غيرنا إلينا فليَتَّخِذْ حذرنا، الكَيِّس من دان نفسه وعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الموت، والعَاجِز من اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي، وَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ.

الحمد لله ربِّ العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولىُّ الصالحين، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميدٌ مجيد.

أَيُّهَا الإخوة الأحباب: دخل شعبان، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

{ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ أُرَكِّ تَصَوُّمَ مِنْ شَهْرِ مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصَوُّمُ شَعْبَانَ، قَالَ: ذَاكَ شَهْرُ بَغْفَلِ النَّاسِ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ،

وَهُوَ شَهْرُ تُرْفَعُ فِيهِ الْأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأُجِبْتُ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ }

(أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَأَحْمَدُ)

فاغتتموا هذا الشهر الكريم بالصيام والصدقة والعمل الصالح، فإنه شهرٌ مُباركٌ، فيه الخير العظيم، وهو مُمهِّدٌ لاستقبال رمضان.

الدعاء:

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولَّنا فيمن تولَّيت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عَنَّا شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي بِالْحَقِّ وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ، إِنَّهُ لَا يَدُلُّ مِنَ الْبَيْتِ وَلَا يَعْزُ مِنْ عَادِيَّتِكَ، تَبَارَكَ رَبُّنَا وَتَعَالَيْتَ، فَكَلِّ الْحَمْدَ عَلَى مَا قَضَيْتَ، وَلَكَ الشُّكْرُ عَلَى مَا أَنْعَمْتَ وَأَوَّلَيْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ وَنَتُوبُ إِلَيْكَ.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، إِنَّكَ يَا مَوْلَانَا سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ لِلدَّعَوَاتِ.

اللهم بِرَحْمَتِكَ عُمَّنَا، وَآفَنَّا اللَّهُم شَرَّ مَا أَهْمَنَا وَأَغَمَّنَا، وَعَلَى الْإِيمَانِ الْكَامِلِ وَالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَوَقَّنَا، نَلْقَاكَ وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا.

اللهم بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ أَعْلَى كَلِمَةِ الْحَقِّ وَالِدِينِ، وَانْصُرْ الْإِسْلَامَ وَأَعِزِّ الْمُسْلِمِينَ.

اللهم مَنْ أَرَادَ بِالْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا فَوْقَهُ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَمَنْ أَرَادَ بِهِمْ غَيْرَ ذَلِكَ فَاكْفِنِيهِ بِمَا شِئْتَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ.

اللهم لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا أَنْعَمْتَ بِهِ عَلَيْنَا مِنْ نِعْمَةِ الْغَيْثِ مِنَ السَّمَاءِ، فَأَتَمِّ اللَّهُم نِعْمَتَكَ وَفَضْلَكَ وَكَرَمَكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللهم إِنَّا نَسْأَلُكَ لِأَهْلِنَا فِي عَزَّةٍ فَرَجًا قَرِيبًا عَاجِلًا، نَسْأَلُكَ لَهُمْ تَمْكِينًا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، نَسْأَلُكَ لِعَدُوِّهِمْ هَلَاكًا يَا كَرِيمَ.

اللهم مُجْزِي السَّحَابِ، مُنْزِلِ الْكِتَابِ، هَاذِمِ الْأَحْزَابِ، سَرِيعِ الْحِسَابِ، اهْزِمِ الصَّهَابَةَ الْمُعْتَدِينَ وَمَنْ وَالَاهُمْ وَمَنْ أَيْدَهُمْ وَمَنْ وَقَفَ مَعَهُمْ فِي سَرٍّ أَوْ عَلَنٍ.

اجْعَلْ بِلَادَنَا وَبِلَادَ الْمُسْلِمِينَ أَمْنًا سَخَاءَ رِخَاءٍ وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.